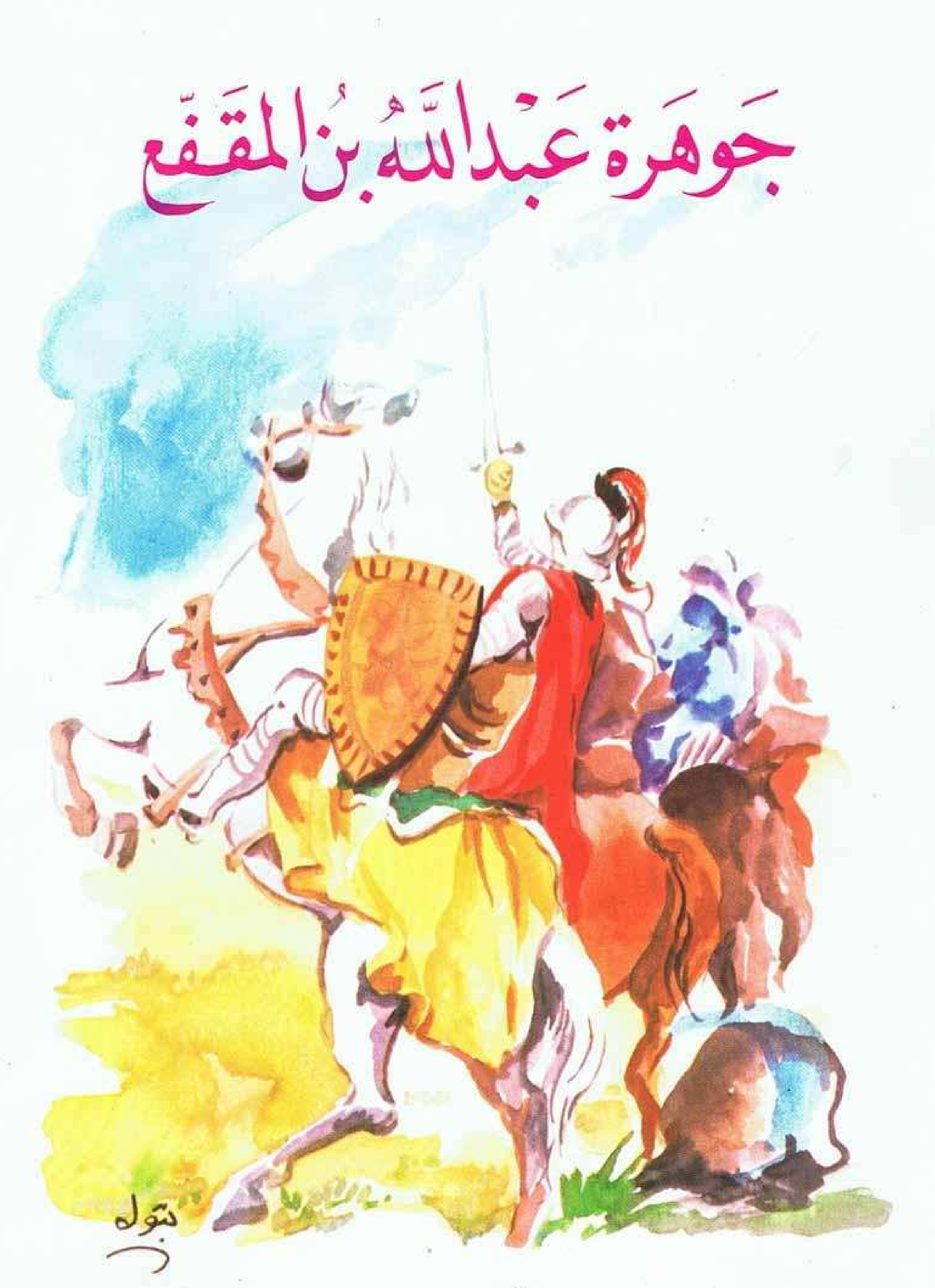
حكايات وأساطير للأولاد

جَوهَرة عَبْدالله بن المقَفّع



منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر

حكايات وأساطير للأولاد

جوهرة عبد الله بن المقفّع

سلسلة قصصية مصورة، ملونة، توجيهية
لمطالعات تلامذة صفوف الشهادة الابتدائية.

منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر بيروت

جميع الحقوق محفوظة

المقدمة

« اللغةُ العربيَّةُ لها جَمالُها السَّاحِـرُ الذي لا يوجَدُ له مثيلٌ في أيَّةِ لغةٍ أخرى ، ولقد أنْزلَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى القرآنَ الكريمَ وجعلَه كتاباً عربيًّا ، وأضافَتْ بلاغةُ القرآنِ جمالاً من لونٍ جديدٍ إلى اللُّغةِ العَربيَّة .

وكانتْ أحكامُ القرآنِ وما انطَوَتْ عليه من إنسانيَّةٍ رفيعةٍ سبباً في اجتذابِ عددٍ كبيرٍ من كتَّابِ وفلاسفةِ الفُرْسِ لكيْ يتعلَّموا اللُّغةَ العربيَّةَ ، فاعتنقوا الإسلامَ وألَّفوا باللغةِ العربيةِ عدداً كبيراً من الكُتُبِ التي يَعتزُّ بها التُّراثُ العربيُّ ، منهم مثلاً الفيلسوفُ ابنُ سينا ، ومنهم أيضـاً عبدُ اللهِ ابنُ المقفَّع .

وُلدَ ابنُ المقفّعِ في فارسَ بقريةٍ كانَ اسمُها (جور) وتسمّى حالياً (فيروز أباد) .

وانتقلَ ابنُ المقفعِ إلى مدينةِ البصرةِ بالعراقِ ، وكانَتِ البصرةُ وقتئذٍ مركزاً هاماً للثقافةِ العربيةِ .

ومن أعظمِ الآثارِ التي تركَها ابنُ المقفعِ كتابُ كليلةَ ودِمنةَ الذي تُرجِمَ إلى اللغاتِ الأوروبية .

ولكتاب كليلةَ ودِمنةَ قصةٌ مشوّقةٌ طريفةٌ ، إذ إنَّ ابنَ المقفّعِ لم يُترجمْهُ عن الهنديةِ ترجمةً حرفيةً ، بَلْ أضافَ إليه الكثيرَ مِنْ المبادىءِ الساميةِ التي جاء بها الدينُ الإسلاميّ .

ولقَدْ أخلصَ ابنُ المقفّعِ لمبادىءِ وتعاليمِ الدينِ الإسلاميِّ ، ودَفعهُ ذلكَ إلى توجيهِ انتقاداتٍ مُرَّةٍ إلى الخليفةِ العباسيِّ المنصورِ ، انتهتْ بقتلِ ابنِ المقفّعِ فذهبَ ضحيةَ كتاباتهِ ومبادئه .

ويُجمِعُ النُّقادُ على أنَّ كتابَ كليلةَ ودِمنةَ هو جوهرةُ عبدِ اللهِ ابنِ المقفعِ ، ولمولدِ هذا الكتابِ كما ذكرْنا قصةٌ مشوّقةٌ طريفةٌ .

جوهرة عبد الله بن المقفع

أَعَدَّتْ والدةُ نبيلٍ مائدةَ الطَّعامِ ، وَدَعَتْ أفرادَ العائلةِ .

وكانَ نبيلٌ مُهَذَّباً ، فلم يَمُدَّ يَدَهُ إلى الطَّعَامِ إلاَّ بعدَ أَنْ باشَرَ والِداهُ .

وبعدَ الطَّعامِ كانَ نبيلٌ وأُمُّـــهُ في غايَةِ الشَّوقِ لِسَماعِ قِصَّةِ مَـــوْلِدِ كتابِ : « كليلةَ ودِمْنَةَ » .

فقالَ الأَبُ ، موجِّهاً كَلامَهُ إلى ابنِهِ نبيلٍ :

ـ كُلُّ كِتابٍ يانبيلُ يَبْدَأُ كَمُجَرَّدِ فِكْرَةٍ في رأسِ مُؤَلِّفِهِ ، وَبعدَ ذلكَ تَكْبُرُ هذه الفِكْرَةُ وتَتَضَخَّمُ ويُحـــاوِلُ المُؤَلِّفُ أن



يُعالجها بقلمِهِ ، فيُترجِـــمُ كُلَّ الآراءِ والموضوعاتِ التي تتعلَّقُ بهذه الفِكْرَةِ ، بألفاظٍ وعِبَارَاتٍ سَهْلَةٍ مَفهومَةٍ ، وبمجرَّدِ أنْ ينتهيَ المؤلِّفُ مِنَ الكتابةِ يكونُ مَوْلِدُ الكِتابِ الجديدِ .

قالَ نبيلٌ :

ــ لقد فَهِمْتُ :

وسألتْه زوجتُهُ :

ــ وما هي قِصَّةُ مَوْلِدِ كتابِ (كليلةَ ودِمنةَ) ؟...

قالَ :

ــ لقد ذَكَرَ هذه القِصَّةَ مُؤلِّفٌ هِنْدِيٌّ اسمُهُ (بَهْنُودُ بنُ سَحْوَانَ) ويُسَمِّيهِ البعضُ بِعَلِيِّ بنِ الشَّاهِ الفارِسِيِّ ، وذلك لأنَّه اعتنقَ الدِّينَ الإسْـلاميَّ فيما بَعْدُ ، فأطْلَقَ على نَفْسِهِ اسْمَ عليٍّ ، ويقولُ (بَهْنُودُ بنُ سَحْوانَ) : إنَّ الإسكندرَ الأكبرَ كانَ الحَلَقَةَ الأُولى في قِصَّةِ مَوْلِدِ كتابِ (كليلةَ ودمنةَ) ،

فبَعْدَ أن هَزَمَ جيوشَ الفُرْسِ ، تَوَجَّهَ بجيشِهِ الظَّافِرِ شَرْقاً إلى الهِنْدِ ، وكانَ على عَـرْشِ الهِنْدِ في ذلكَ الوقتِ ملكٌ يُدْعَى (فُور) ، وكانَ (فُورُ) هذا مَلِكاً قَوِيًّا عَنيداً ، فلَّما عَلِمَ بِقُدومِ الإسكندرِ الأكبرِ نحوَ الهندِ أَصـدَرَ أوامِرَهُ بحشْدِ الجيوشِ للتَّصَدِّي له ، وحَشَدَ عَدَداً كبيراً من الفِيَلَةِ والسِّباعِ الضَّارِيَةِ والجنودِ المُزَوَّدينَ بأقْوَى الأَسْلِحَةِ .

والفيلُ حَيَوانٌ قَوِيٌّ يُشْبِهُ الدَّبَّابَةَ في عَصْرِنا الحاليِّ فلا يُؤَثِّرُ فيه الرَّصاصُ .

والجَوادُ بطبيعةِ الحالِ لا يَقْوَى على لِقاءِ الفيلِ وقد تَتَساءَلُ يانبيلُ من أينَ أَتَوْا بالأَفيالِ ؟ فأقولُ لكَ من الهِنْـدِ ، ومن غاباتِ أفريقيا ، يَصْطادونَها صغيرةً ويُدَرِّبونها على أعمالٍ كثيرةٍ منها القِتالُ .

ــ أمَّا عنِ الأعمالِ الأُخرى التي تُؤَدِّيها الأَفيـالُ ، فهي تُسْتَخْدَمُ في النَّقْلِ ، إذْ في مَقْـدورِ الفيلِ أن يَحْملَ كَمِّيَّةً كبيرةً مِنَ الأَخْشابِ وغيرِها ، كما يَستخدمونَها في اقتلاعِ بعضِ

الأَشجارِ .

وسأَلَه نبيلٌ :

ـ اقتلاعِ بعضِ الأَشجارِ ؟ .. كيفَ ذلك ؟

قالَ أَبوهُ :

ـ يَلفُّ الفيلُ خُرْطُومَهُ حولَ الشجرةِ ثُمَّ يَجْذِبُها بِقُوَّةٍ فيقتَلِعُها ..

وأَطلقَ نبيلٌ صفيراً من بينِ شَفَتَيهِ ثُمَّ قالَ :

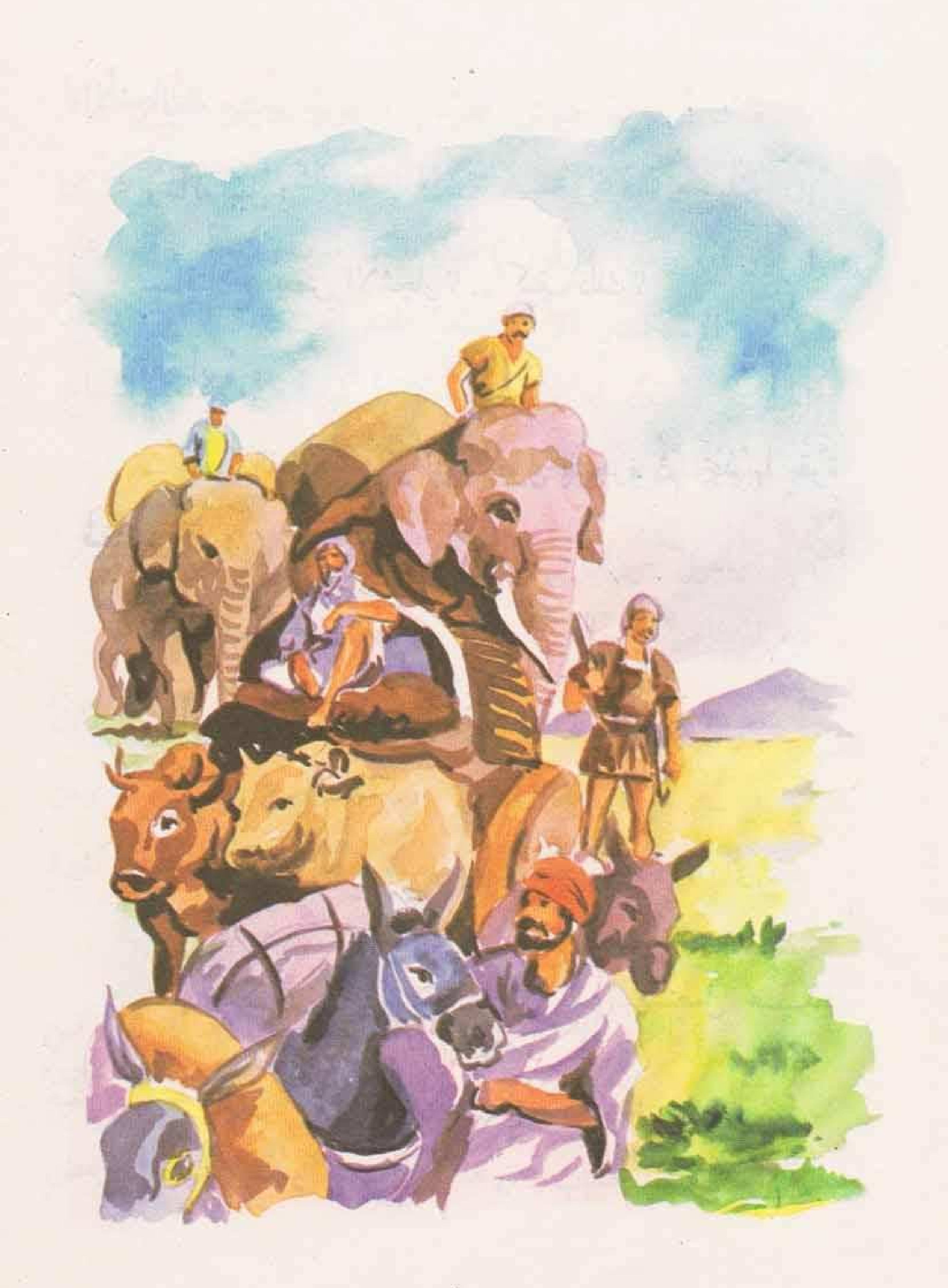
ـ أهو قَويٌّ إلى هذهِ الدَّرَجةِ ؟

ـ نعمْ ..

قالَ نبيلٌ :

ـ إذنْ لابُدَّ أَنْ يَنْتَصِرَ الجيشُ الذي يَسْتَعْمِلُ هذه الأَفيالَ .

قالَ والِدُ نبيلٍ :



ـ في موقعةٍ حربيَّةٍ مِنْ أشهرِ المواقِعِ الخالدةِ التي خاضَهـــا العربُ لِنُصْرَةِ الدينِ الإسلاميِّ ، وتثبيتِ أركانِ الوحدةِ والقوميَّةِ العربيَّةِ ، وهيَ موقعةُ القادِسيَّةِ . وكانَتْ بـــينَ جيوشِ الفُرْسِ وجيشِ العربِ ، وكان جيشُ الفُرسِ يبلغُ مائةً وعشرينَ ألفـــاً مِنَ الجنودِ ، بينمَا جيشُ العربِ لا يكادُ يبلغُ نِصفَ هذا العددِ ، هذا عَلاوةً على أنَّ الفارسيِّينَ كانَ لديهم أكثر من مائتي فيلٍ ! . من الأفيالِ القويَّةِ المـــدرَّبَةِ تدريباً حسَناً على القتالِ .

وصاحَ نبيلٌ :

وماذَا فعـــلَ الجنودُ العربُ ياوالدي إزاءَ هذه الأفيالِ القويَّةِ ؟

ـ لقدِ انتصرُوا على الفرسِ بِشَجَاعَتِهِمُ النَّادِرةِ وإيمانِهِمْ بِحَقِّهِم وحُبِّهِم لوَطَنِهِمْ .

وقَدْ كانَ العَرَبُ يعلمونَ أنَّ الفُرْسَ سيستعينونَ بالأفيالِ

لمحاربتِهِمْ ، فأعدُّوا لذلكَ سيوفاً متينةً مشحوذةً لِيَضْرِبُوا بها خراطيمَ الأَفيالِ فيُصيبُوها بجراحٍ بالغةٍ تجعلُ الفيلَ من شِــدَّةِ الأَلَمِ يَنْفُرُ ويُلقي ما فوقَ ظهرِهِ مِنْ رجالٍ أَو أَسلحةٍ وينطلِقُ هائجاً لا يَلْوِي على شيءٍ ، والهجومُ على الأَفيالِ بالسيوفِ يحتاجُ بطبيعةِ الحالِ إلى شجاعةٍ كبيرةٍ ، وقد كانَ إيمانُ العربِ العميقُ باللهِ تعالَى ، ووثوقُهُمْ من أَنَّ الشهيدَ يَدْخُلُ الجنَّةَ من أَهَمِّ أَسبابِ شَجَاعَتِهِمْ واستبسالِهِمْ في القتالِ .

وسأَلَتْهُ زوجتُهُ :

ـ أعتقدُ أَنَّ العربَ لم يستعملُوا الأَفيالَ أَبداً في حروبِهِمْ ، لأَنَّهم كانُوا يَعْتَمِدونَ على الجيادِ والإِبلِ ، أَليسَ كذلكَ ؟

قال زوجُها :

ـ نعمْ ، هذا صحيحٌ ، ولكنَّ قائداً عربياً استعملَ الأَفيالَ استعمالاً بارعاً ، وسَجَّلَ بذلك مَجْداً حــربيًّا يُعْتَبَرُ الأَولَ من نَوْعِهِ في التَّاريخِ العسكريِّ . إنه القائدُ العظيمُ (هاني بعل) واشتهرَ

باسمِ (هانيبال) ، لقد كانَ أوّلَ قائدٍ حـــربيٍّ يَعْبُرُ جبالَ الألبِ بالفِيلَةِ ليفاجِىءَ الجيشَ الرومانيَّ ، وكانَ هَـــدَفُهُ انقاذَ دُوَلِ أوروبّا وشماليّ افريقيـا منْ طُغيانِ وجَبَروتِ الإمبراطوريّة الرُّومانيَّةِ .

وسألَتْهُ زوجتُه :

ـ لقدِ استعملَ الأحباشُ الأفيالَ حينما أرادَ (أبرهـــةُ) أنْ يَهْدِمَ الكَعْبَةَ ، أليسَ كذلِكَ ؟

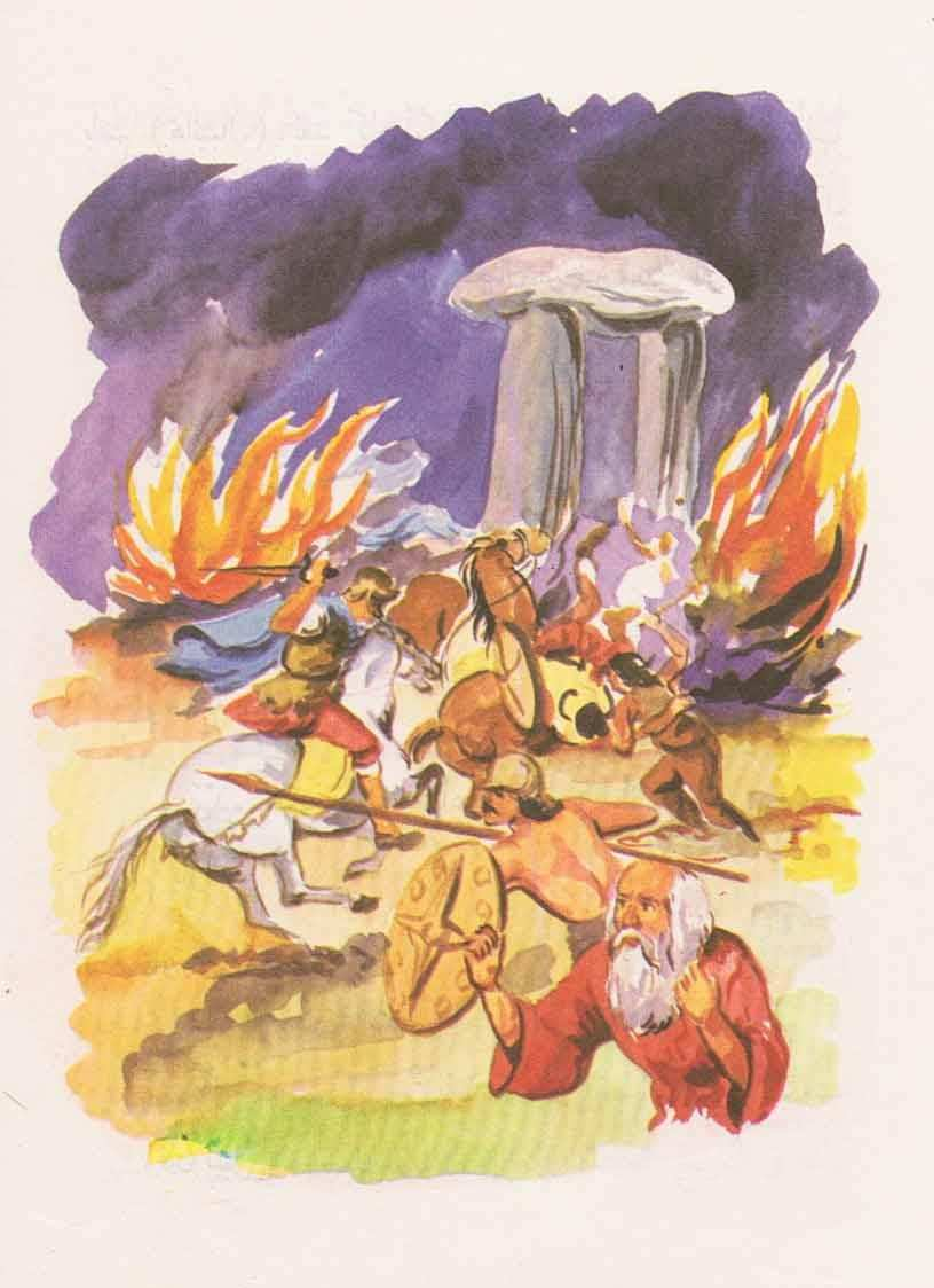
وصاحَ نبيلٌ :

ـ يَهْدِمُ الكَعْبَةَ ؟ .. أعوذُ باللهِ ! . أليست هي بيتَ اللهِ الحرامَ ياوالدي ؟ .

قالَ أبوه :

ـ نعمْ ..

وقال نبيلُ :



ـ وكيفَ يترُكُهُ اللهُ تعالَى لِيَهْدِمَ الكعبةَ ؟ .

قالَ أبوهُ :

ـ إن اللهَ تعالَى لم يتركْهُ ليفعَلَ ذلك العملَ الإجرامِيَّ يانبيلُ ، لقد ذُكِرَ ذلك في القرآنِ الكريمِ وفي سُورةِ (الفيلِ) ، إذ قالَ اللهُ سُبحانَه وتعالى :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

« أَلَمْ تَرَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بأَصْحابِ الفيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كيدَهُمْ في تَضْليل . وأرسلَ عليهِمْ طَيْراً أبابيل . ترميهِم بحجارةٍ من سِجّيل . فَجَعَلهُم كعَصْفٍ مأْكول » .

صدق الله العظيم

وَضَعَ الإسكندرُ خيولاً من نُحاسٍ حَشَاها بالزِّفتِ وكانَ لها عَجَلاتٌ تَسيرُ عليها ، وفي يومِ المعركةِ أَضرمَ فيها النَّارَ .

ولكنْ ماذا حَدَثَ بعدَ ذلك ؟

لَقَدِ اندفعتِ الْخيولُ النُّحاسيَّةُ الملتهبةُ نحوَ الأُفيالِ الضخمةِ التي كانتْ تتصدَّرُ جَيْشَ الملكِ (فــور) ، فلَّما اقتربتْ من الأَفيالِ ، أَقبلتِ الأَفيالُ نحوَها لتُهاجِمَها بالطريقةِ التي اعتادتْ عليها ، وهي أن يلُفَّ الفيلُ خُرطومَه حــولَ وَسَطِ الحِصَانِ أو رَقَبَتِهِ ثُمَّ يَطْعَنُه بنابَيْهِ ويقتلُهُ ، فلَّما فعلتِ الأَفيالُ ذلك ، أَحسَّتْ بالحرارةِ الرَّهيبةِ تُحْرِقُ خَراطيمها ، فهاجَتْ وماجَتْ وألقَتْ كُلَّ ما كانَ على ظُهورِهــا وولَّتْ هارِبَةً في اتجاهِ جيشِ الملكِ (فور) ، فكانتْ لا تَمُرُّ بأَحــدٍ من جنُودِهِ إلا وَطِئَتْه وداسَتْهُ فَرَسَتْهُ بثِقَلِها الضَّخْم ، ثُمَّ تبارَزَ المَلِكانِ فانتَصرَ الإسـكندرُ وسَيْطَرَ على الهِنْدِ وَحاوَلَ إصلاحَ أَحْوالِها ، لكنَّ حَرْبَهُ مَعَ الصِّينِ اضطرَّتْهُ إلى النُّزُوحِ عنها ، فاختارَ مَلِكاً على الهند هو (دَبْشَليمُ) الظَّالِمُ المغْرُورُ بنفسِهِ فظلَمَ الشَّعْبَ وطَغَى وبغَى ، وكانَ ما حَـدَثَ في أثناءِ مُلْكِهِ ، هو السَّبَبُ في ظهورِ كتابِ كليلةَ ودِمنةَ .

وكانَ في الهندِ حكيمٌ اسمُــه (بَيْدَبا) يَثِقُ به النَّاسُ ثِقَةً كبيرةً ، لذلك لَجأَ كثيرونَ منهم إليه وتَحدَّثَ كلٌّ واحد

منهم مَعَ الفيلسوفِ في صَراحـــةٍ مُطْلَقَةٍ عن الملكِ (دَبْشَليمَ) ومظالِمِه التي كانَ يرْتَكِبُها في حَقِّ الشَّعْبِ .

وفكَّرَ (بيدبا) تفكيراً مُتَّصِلاً عميقاً في هذا الأَمْرِ .

ماذا في وُسْعِهِ أَنْ يَعْمَلَهُ ؟ .

إنَّ الملكَ كانَ يَعْتَمِدُ على جيشِه القويِّ ، لأَنه كان يُغْدِقُ الأَموالَ على جنودِهِ وضُبَّاطِهِ ليحبُّوه ويَدينُوا له بالطَّاعَةِ .

إنَّ أفرادَ الحـــاشِيَةِ التي كانتْ تُحيطُ بالملكِ (دبشليمَ) إحاطةَ السِّوارِ بالمِعْصَمِ ، كانَ أفرادُها يُحَبِّذُونَ بلْ ويُمَجِّدونَ كُلَّ شيءٍ يَفْعَلُهُ الملكُ ، حتّى ولو كانَ هـــذا الشيءُ مِمَّا يَتَنافى مَعَ أَبْسَطِ قواعِدِ الحقِّ والعَدالَةِ ومبادىءِ الإِنسانِيَّةِ ..

ماذا يفعلُ (بيدبا) الفيلسوفُ إزاءَ هـــذا الملكِ الظالِمِ المُتَغَطْرِسِ ؟.

وكانَ من عادةِ الفلاسِفَةِ في ذلكَ الوقتِ ، ســواءٌ في الهندِ



أمْ في البلادِ الأُخرى ، أنْ يَجْعَلَ الفيلسوفُ من دارِهِ مَدْرَسَةً ، يَخْتَلِفُ إليها طُلابُ العِلْمِ والحِكْمَةِ ويُعْرَفونَ باسمِ : « تلاميذِ الفيلسوفِ » .

وفكَّرَ (بيدبا) في أنْ يَدْعُوَ نُخْبَةً من تلاميذِهِ ، لكيْ يَطْرَحَ عليهم مُشْكِلَةَ الملكِ (دبشليمَ) ، ويتناقشوا جميعاً في صراحةٍ في الخُطَّةِ الواجبِ اتِّباعُها لِتقويمِ ذلكَ الملكِ ، حتى يَكُفَّ عنِ المظَالِمِ التي كانَ يرتكِبُها بِحَقِّ شَعْبِهِ .

وفي صباحِ أَحدِ الأَيَّامِ أَخَذَ تلامِيذُ (بيدبا) يتوافَدونَ إلى دَارِهِ واحداً بَعْدَ الآخرِ .

ولمَّا اكتملَ الجمعُ ، نَهضَ الفيلسوفُ (بيدبا) واقفاً ، فَسادَ الصَّمْتُ ، وأَرْهَفُوا آذانَهُمْ لِيَسْمَعُوا ما سوفَ يقولُهُ ، وليَعْلَمُوا منه السَّبَبَ الذي دَعَاهُمْ من أجلهِ لِعَقْدِ ذلكَ الاجتماعِ .

وتكلَّم (بيدبا) في صوتٍ متَّزِنٍ هادئٍ عميقِ النَّبراتِ فقالَ لهم .

ـ إن مسؤولِيَّةَ الرَّجلِ العاقِلِ المتعلِّمِ ، أكبرُ وأثقلُ بكثيرٍ من مسؤوليَّةِ الرَّجلِ الجاهلِ ، إن الجاهلَ يُعذَرُ دائماً عن أخطائِهِ التي يَرتكبُها ، ولكنَّ المتعلِّمَ الواعِيَ لا عُذرَ له إنْ هوَ اخطأَ عنْ عَمْدٍ .

وأطرقَ (بيدبا) برأسِهِ قليلاً ثمَّ قال :

ـ وعَلاوةً على المسؤوليَّةِ ، تُوجَدُ واجباتٌ كثيرةٌ على المتعلِّمِ أنْ يؤدِّيَها ، وواجباتُ المتعلِّمِ أيضاً أكبرُ وأثقلُ بكثيرٍ من الواجباتِ التي تُفرَضُ على الجاهِلِ .

ولقد قُلتُ لكم أكثرَ من مرَّةٍ إنَّ أرقى وأعذبَ ألوانِ السَّعادةِ البشريَّةِ هي السعادةُ التي يَستَمِدُّها الإنسانُ من وراءِ محاولاته الجاهدَةِ والمُستَمِرَّةِ لإسعادِ غيرِهِ مِنَ الناسِ ، ومَنْ يَسْعَ إلى إسعادِ نَفْسِهِ فقطْ على حسابِ غَيْرِهِ يَكُنْ أنانِيًّا ، والأنانِيَّةُ من أخبثِ العيوبِ المقيتةِ التي تُصيبُ بعضَ الناسِ .

والإنسانُ ـ أيُّ إنسانٍ ـ جاهلاً كانَ أو مُتعلِّماً ، ومهما كانتْ ظروفُ حياتِهِ الشخصيَّةِ طيِّبَةً ، فإنه لا يُمْكِنُهُ أنْ يعيشَ

فِي سعادةٍ كاملةٍ إذا كانَ المجتمعُ الذي يعيشُ فيه يُعــاني مِنَ الشَّقَاءِ والبؤسِ ، لأَنَّ الحيواناتِ فقطْ هي التي لا تَشْعُرُ بِشَقَــاءِ أو عدمِ شقاءِ غيرِها مِنَ المخلوقاتِ ، ومَعَ ذلكَ فبعضُ الحيواناتِ - كالكلبِ مَثَلاً - يَشْعُرُ بِحُزْنِ صاحبِهِ .

ومهَّدَ الفيلسوفُ (بيدبا) بهذه المقدِّمَةِ لكي يَدْخُلَ بَعْدَها في موضوعِ الملكِ (دبشليمَ) فقال :

ــ إن المجتمعَ الذي نَعيشُ فيه هذه الأَيامَ يُعانِي منَ البؤسِ والشَّقاءِ الشيءَ الكثيرَ ، وذلكَ كلُّه بِسَبَبِ المظالِمِ العديدةِ التي يَرْتكبُها الملكُ (دبشليمُ) وحاشيةُ السُّوءِ التي من حَــوْلِهِ ، والَّتي تُشَجِّعُهُ على المُضيِّ في مَظَالِمِهِ .

وتابع الفيلسوفُ (بيدبا) حديثَه قائلاً :

ــ ولَقَدْ جَمعتُكُمْ هنا لأَنَّــكم بِمَثابةِ أُسرتي ، فأنتمْ موطنُ سِرِّي ، وأنا لا أُحبُّ أن أنفردَ برأيي لأَنَّ المنفردَ برأيِهِ ضائعٌ لا نَاصِرَ لَهُ ، وقد قالَ أحدُ الحكماءِ : إنَّ مَنْ شــاوَرَ الرجالَ

شارَكَهُمْ في عُقُــولِهِمْ ، ونحن نريدُ أن نتشاورَ فيما بيننا لعلَّنا نهتدِي إلى الوَسِيلَةِ التي يُمكِنُنا بوسَاطتِها أنْ نَقوِّمَ اعوِجاجَ الملِكِ دبشليم .

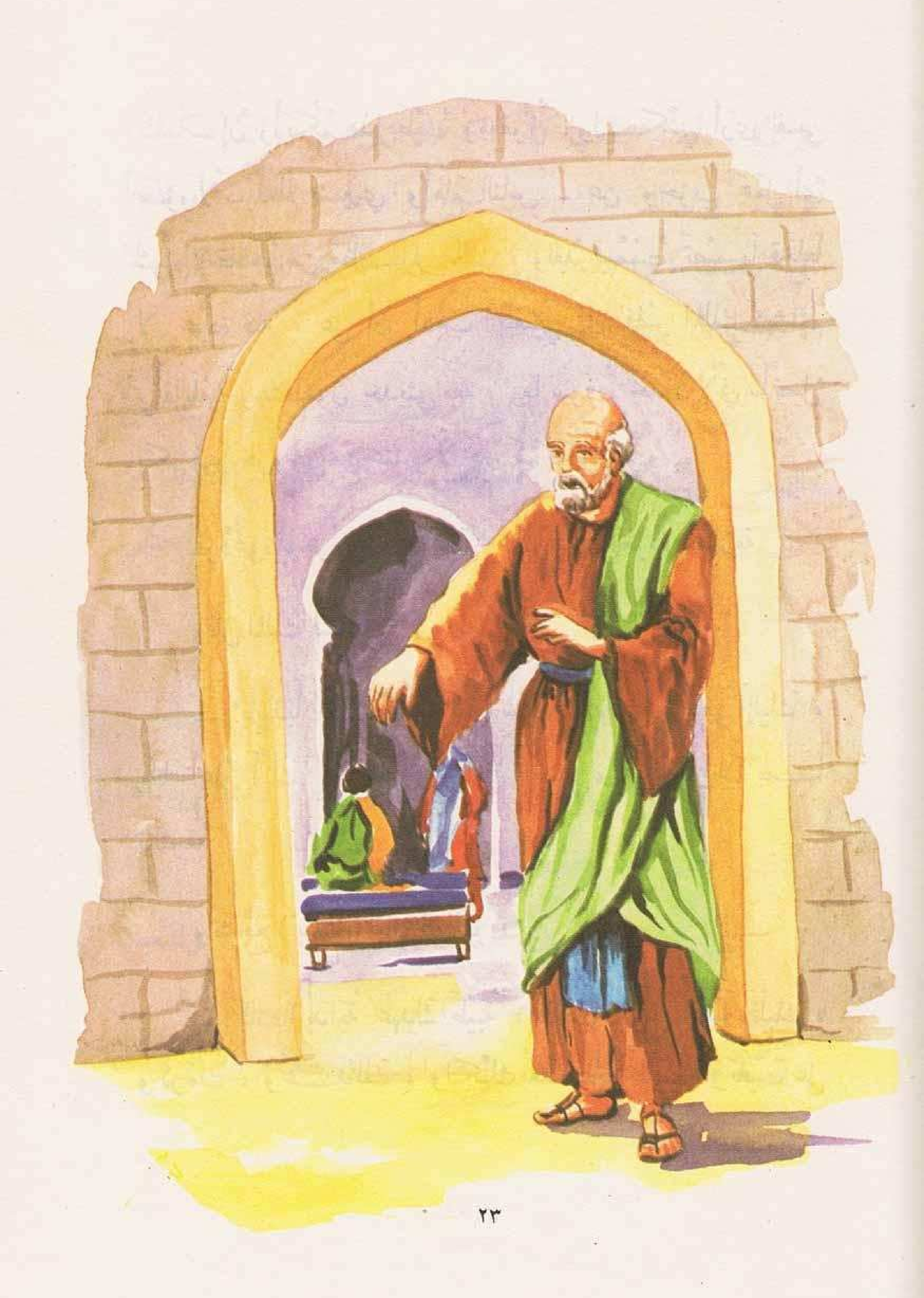
وغادَرَ (بيدبا) قاعةَ الاجتماعِ ، ليترُكَ فـرصَةً لهم للمُداوَلَةِ .

واستدعاه تلاميذُهُ ، وقالَ من كلَّفُوه بالحديثِ :

ـ أيُّها الفيلسوفُ الفاضِلُ والحكيمُ العادِلُ ، أنتَ أُستاذُنا وماعسى أن يكونَ مبلغُ رأيِنا عند رأيك ؟ وفَهمِنا عندَ فهمِكَ ! غيرَ أنَّنا نَعْلَمُ أنَّ السِّباحَةَ في الماءِ مَعَ التِّمساحِ تُعَرِّضُ السَّابِحَ للهلاكِ ، ومنْ يدخلْ على الأسَدِ في غابتِهِ لا يأْمَنْ وثبتَهُ ، وهـذا الملكُ لم تُؤَدِّبْهُ التجارِبُ ، ونحنُ لا نأْمَنُ عليكَ من غضبِهِ وثَوْرَتِهِ ، ومِثْلُهُ يَحقِدُ حِقْداً شديداً على مَنْ يَنْتَقِدُهُ أو يَنْصَحُهُ .

وأنتهى الرَّجلُ من كَلِمَتِهِ .

ونهضَ الفيلسوفُ (بيدبا) وقالَ :



ـ إنَّ رأيَكُمْ هذا طَيِّبٌ ومعقولٌ ، ولـــكنَّني أرى نفسي مسؤولاً ـ أمام ضميري وأمامَ الناسِ ـ عن وجوبِ عَملِ أيِّ شيءٍ لإنقاذِهِمْ من مَظَـالِمِ الملكِ ، ولقدْ صَمَّمْتُ تصْميماً قاطِعاً لا عودةَ فيه ، على أنْ أذهبَ بنفسِي إلى قَصْرِ الملكِ دبشليمَ وأقابِلَهُ ، وستعلمونَ حديثي معه ، وما سوفَ يَحْدُثُ لأنِّي سأتَّصِلُ بكم فورَ خروجي من عندهِ لأُخْبِرَكُمْ بكُلِّ شيءٍ .

فودَّعوه وخرجُوا ، داعينَ له بالتَّوْفيقِ والعودةِ بالسَّلامة .

وقالَ الملكُ لبيدبا :

ـ يابيدبا تَــكَلَّمْ كيفَما شئتَ ، وأنا سأُصْغِي إليكَ ، فأنا أَعلمُ أنَّكَ أَحكمُ رجلٍ في الهندِ ، وسأُجازيكَ بمـــا تستحِقُّهُ .

وتَشَجَّعَ (بيدبا) فقالَ للملكِ :

ـ كانت بِدَايَةُ عهدِكَ طَيِّبَةً ، فأَحبَّ الناسُ طِيْبَةَ قَلْبِك ، وكَرَمَكَ ، وَعَـدْلَكَ ، ولكنَّك بعدَ ذلك طَغَيْتَ وبَغَيْتَ على

الرعيَّةِ ، فأصبحَ الشَّعْبُ كُلُّهُ يَكرَهُك ، ويتمنَّى زوالَ حُكمِك ، وأنا لا أقولُ لكَ ذلك القولَ سَعْياً وراءَ جائزةٍ أنالُها ، أو طَمَعاً في مَنصِبٍ كبيرٍ تُسْنِدُهُ إليّ ، لأنّي – كغيري من الحكماءِ - لا أكترِثُ بالمالِ أو المناصِبِ .

وصارَ (بيدبا) يُعدِّدُ للملكِ أخطاءَهُ التي ارتكبها بحقِّ الشَّعْبِ ، ويذكُرُ له بعضَ الحوادثِ التي تَدُلُّ أوْضحَ الدَّلالَةِ على ظُلْمِهِ ، وإهمالِهِ شؤُونَ الرَّعيَّةِ ، فامتلأ الملكُ غيظاً وأمَرَ بِحَبْسِ بيدبا .

وعَلِمَ تلاميذُهُ ، فَهَربُوا ، خوْفاً من بَطْشِ الملكِ .

ورأى الملكُ في إحدَى الليالي حُلُماً أفزَعَه ، فَاستدعَى كاهِناً لِتفْسيرِ ذلكَ الحُلُمِ فقال الكاهِنُ :

لَقد ظَلَمْتَ رجلاً طيِّباً حكيماً ، وهوَ لا يُريدُ لَكَ ولشعبِكَ سِوَى الخيرِ والحياةِ السَّعيدةِ ، وكانَ الأجدَرُ بكَ أنْ تُقرِّبَهُ منكَ ، فقد يكونُ واسطةَ الخيرِ بينكَ وبينَ الرَّعِيَّةِ ،

ولا شَكَّ بأنَّ أمرَها يُهِمُّكَ ، فَضلاً عن كـونِها أمانةً في عُنقِكَ .

فاقتنعَ الملكُ دَبْشليمُ ، وأرسلَ في طَلَبِ بيدبا ، وقالَ لهُ : لقد كنتَ على حَقٍّ في كُلِّ ما نطقْتَ بهِ ، ولكِنِ اعْلَمْ أنَّ الغضبَ نِصفُ الجنونِ ، وما مِنْ حكمةٍ صدرتْ عن إنسانٍ ، كائناً مَنْ كانَ في حالةِ الغضبِ ، إلاَّ وكانتْ خاطئةً ، والآن ، أنتَ وزيري والآمِرُ النَّاهي بعدي في كُلِّ شيءٍ ..

ثُمَّ أرسـلَ المَلِكُ فقرَّبَ تلاميذَ بيدبا وطَمْأنَهُمْ وأسْندَ إلى مُعظمِهِمْ عَمَلاً يُؤدِّيه للصَّالحِ العامِّ .

وفي أحدِ الأيَّامِ قالَ الملكُ لوزيرِهِ بيدبا :

ـ يابيدبا ، أعْلَمُ أنّكَ تحبُّ الخيرَ للناسِ .

قالَ الفيلسوفُ :

ـ إنَّ خيرَ الناسِ هو مَنْ يُحِبُّ الخيرَ للناس .

قالَ الملكُ :



ـ حسَناً ، وأنتَ تعلمُ أنَّ العلمَ يعودُ بالخيرِ والنَّفعِ على صاحِبهِ

ـ العلم نورٌ ياصاحبَ الجلالةِ .

قال الملكَ :

ـ إذنْ ، لقد دعوتُكَ اليومَ لكي تُؤلِّفَ كتاباً كبيراً تَضعُ فيه كلَّ ما تَعلَّمْتَهُ من حكمةٍ في الحيــاةِ ، وأُريدُهُ أن يكون في أسلوبٍ سَهْلٍ حتى يُقْبِلَ على قراءتِهِ و فَهْمِهِ الخاصُّ والعامُّ .

وأطرَقَ (بيدبا) برأسِهِ مفكِّراً ثُمَّ قالَ للملكِ :

ـ أُريدُ مِهلةَ عامٍ كامِلٍ ، على أنْ تُعفِيَني من كوني وزيراً لأَتفَرَّغَ لهذا العَمَلِ الهامِّ .

فقال الملكُ :

ـ لكَ ما تريدُ .

★ ★ ★

وسكتَ والدُ نبيلٍ قليلاً ثمَّ قالَ :

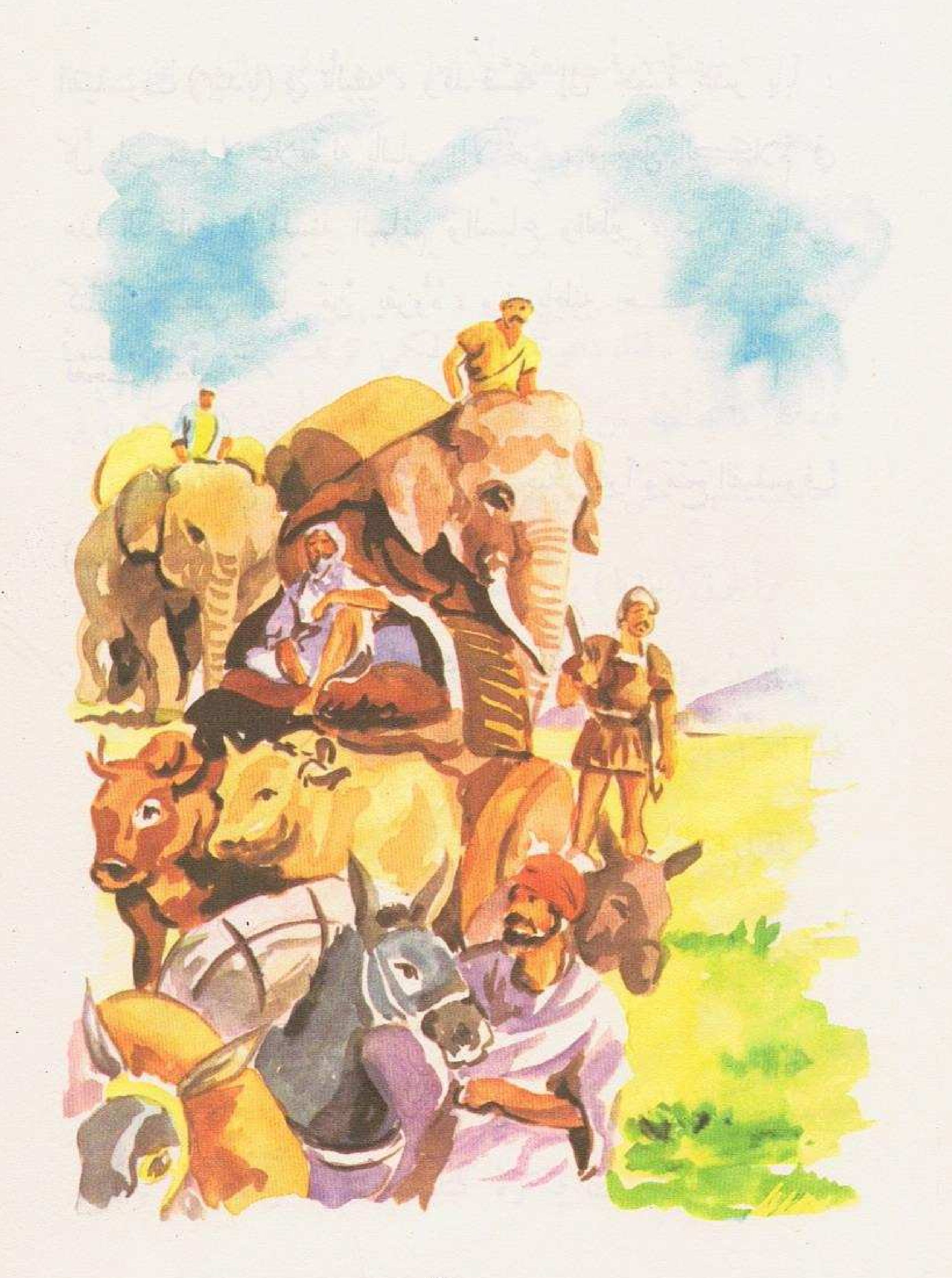
ـ هكذا جاءتْ فِكْرَةُ كتابِ (كليلةَ ودمنَة) ، وابتدأ

الفيلسوفُ (بيدبا) في تأْليفِهِ ، وقد قسَّمَهُ إلى خَمْسَةَ عشَرَ باباً ، كلُّ بابٍ منها لا علاقةَ له بالبابِ الآخرِ ، وجعلَ الكلامَ في هذا الكتابِ على أَلسِنَةِ البهائِمِ والسِّباعِ والطَّيْرِ ، فهو في ظاهِرِهِ كتابٌ قَصَصِيٌّ يُسَلِّي مَنْ يقرؤُهُ ، وفي باطِنِهِ حكمةٌ وفلسفةٌ تُعْجِبُ المتعلِّمينَ .

ولما اطَّلَعَ الملكُ على الكتابِ أعجَبَهُ كثيراً ومَنَحَ الفيلسوفَ (بيدبا) مِنْحَةً ماليَّةً كبيرة .

وهكذا وُلِدَ كتابُ (كليلةَ ودمنَةَ) .

★ ★ ★



أسئلة عن القصة

١ ـ كيف انتصر العربُ على جيش الفُرس وأفياله في معركة القادسية؟

٢ ـ كيف انتصر الإسكندر الأكبر على جيش الملك (فور) ؟

٣ ـ لماذا ذهب (بيدبا) الفيلسوف لمقابلة (دبشليم) الملك ؟

٤ ـ لماذا أمر الملك بحبس الفيلسوف ؟

٥ ـ لماذا جعل بيدبا الكلام في كتاب (كليلة ودمنة) على ألسنة البهائم والسباع والطير ؟ .

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
تليفون ٢٣١٩٣٠ ص.ب ١٣٩٠



سلسلة قصصية مصورة، ملونة، توجيهية
لمطالعات تلامذة صفوف الشهادة الابتدائية.

تشتمل هذه الكتب على
مجموعة من الحكايات والأساطير،
وقد وُضعت وفق أحدث الأساليب
التربوية المعاصرة، التي تساعد الأولاد على تنمية
ملكة القراءة وحب الاستطلاع عندهم.

- الملك العادل
- صابر وشجاع
- الطائر الذهبي
- النار الجائعة
- الثعلب الماكر
- اليتيمات الثلاث
- قصة الرغيف
- الكلب والقنافذ الذكية
- الفانوس السحري
- كريستوف كولومبوس
- الحية الوفية
- القرصان وصخرة الموت
- ناكر الجميل
- تمثال من الزبدة
- الملك والعنكبوت
- الجواهر الخالدة
- الأسد وابن آوى
- الملك وراعي الأوز
- الأمير الظالم
- الملك والراهب
- اندروكلاس والأسد
- الثعلب والذئب
- الأبطال
- صراع الوحوش
- العصا السحرية
- الابن البار وشيخ البحر
- النار فاكهة الشتاء
- الغرور طريق الكسل
- الزر المسحور
- سعاد، لولو، والستونو
- الولد الطائش
- سر السهم الثاني
- الملك والعنكبوت
- قلب من ذهب
- الطفلة الشجاعة
- الملك والشحاذ
- اليتيم الأمين
- الملك والصياد
- طيور لا تطير
- العطلة السعيدة
- عدو الفئران
- جوهرة عبد الله بن المقفع
- صبي في الغابة

منشورات: المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت
خندق الغميق - ملك الخليل - ص ب: ٨٠٣٨ - تلفون: ٢٥٥٢١٧ - ٢٢٢١١٠
- برقياً: مكتحياة - تلكس: ٤٠٠٣٠ حياة